إسلاميات

أهل السنة والجماعة منهاجاً والتزاماً

فضيلة الدكتور/كمال محمد عيسى

سلسلة تصدر عن النادى الأدبي الثقافى بجدة

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
النادي الأدبي الثقافي بجدة
ص . ب : ٥٩١٩ ـ ت ٦٨٣٤٦٦٢

أهل السنة والجماعة منهاجًا والتزامًا

فضيلة الدكتور/كمال محمد عيسى

● الدكتور :
كمـال محمد عيسى

ـ ولد في أغسطس عام ١٩٢١م بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية .

ـ تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى بمعهد طنطا الدينى .

ـ دخل مسابقة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة والتحق بها وتخرج فيها عام ١٩٤٧م .

ـ نال دبلوم معهد التربية العالى عام ١٩٤٩م .

ـ وعمل مدرساً ثم موجها للغة العربية بالمدارس والمعاهد المصرية .

ـ نال درجة الماجستير عام ١٩٧٤م .

ـ نال درجة الدكتوراة عام ١٩٧٩م .

ـ يعمل أستاذاً مشاركا للعقيدة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

● له مؤلفات وأبحاث منها :

١ ـ أصول العقيدة في ضوء سورة ق .

٢ ـ العقيدة الإسلامية سفينة النجاة .
٣ ـ خصائص مدرسة النبوة .
٤ ـ نظرات في معتقدات ابن عربى
٥ ـ أقضية وقضاة في رحاب الإسلام .
٦ ـ كلمات في الاخلاق الإسلامية .
٧ ـ حتى تقوى أشرعتكم على مواجهة التيار .
٨ ـ الطوف في الميزان .

■ حمدا لله ، وصلاة وسلاما على رسول الله ، وعلى آله وصحابته ، ومن دعا بدعوته ، وعمل بشريعته ، ونصح لأمته ، وجاهد في الله .

أيها الأخوة الأفاضل

لقد دفعني الى اختيار هذا الموضوع أمور :

أولا : الاسهام في انارة الطريق ، ووضع شمعة للسالكين والسائرين فقد زحمته الحياة بلهوها ولغوها ، وزحمته الحضارة بترفها ومجونها .

ثانيا : العودة بشباب الاسلام الى الكتاب والسنة ، ليتدارسوا الأمور في ضوء من العقيدة السليمة ، وبصر من الفكر النير المستقيم ، ويقين من معية الله وتوفيقه لهم .

ثالثا : تطهير الساحة الاسلامية من تطاحن الفرق ، واختلاف اتباعها في مسائل العقيدة ، ولاتزال

نهب الرياح من جماعات هنا وهناك تحمل علم التحريف تارة ، وعلم التعطيل أخرى .

فشرعوا البدع

واستحسنوا الأهواء

وروجوا للشهوات

حتى غلب الالحاد ، واخذ يطارد عقيدة التوحيد في أكثـر من ميدان ويتسـاءل الشبـاب المسلمـون أين الطريق ؟

رابعا : وحتى يواصل الشباب مسيرتهم الحضارية ، ويستعيدوا لأمتهم مكانتها من رأس القيادة ، وصدر العالم لابد أن يعلموا أنهم :

ليسوا نبتا هزيلا بلا جذور

ليسوا شعوبا همجية بلا حضارة

ليسوا أمة ضعيفة بغير رسالة

لقد كان الشرق مهد الحضارات ، ومهبط النبوات ، ومصدر النور والضياء حين انبثق النور الالهي من غار حراء فعم الخافقين ، واضاء المشرقين .

أشرق الصبـــح عــــلى الـــدنيــا بـــه

بعـــد أن طـــال عــلى الــدنيـا دجـاهــا

وجـــــرى في الأرض ينبـــوع هـــدى

بعـــد أن حـــرقهـــا حـــر صـــداهـــا

لقد كان العرب سادة الدنيا وقادة العالم وكواكب هداية

وأبطال فداء حين كان في صدورهم إيمان وبإيمانهم قرآن .

لقد كان الاسلام منقذ الانسانية ..ومعلم البشرية ناشرا للمساواة علما وللعدالة لواء حين استجاب الرعيل الأول للعقيدة الجديدة استجابة خلصتهم من كل مـألوفـاتهم الجاهلية ..وحققت لهم الاحساس بأنهم أمة لها شخصيتها وكيانها ..لها قيادتها ونظامها ..لها منهجها الذي انقادوا له تمام الانقياد في كل شأن من شؤون الحياة ..فلا يقدمون على أمر حتى يعلموا حكم الله فيه .

تحمل الزهراء الأولى ـ سورة البقرة ـ جملة من الأسئلة

(يسألونك عن الأهلة) البقرة : ١٨٩

(يسألونك ماذا ينفقون) البقرة : ٢١٥

(يسألونك عن الخمر والميسر) البقرة : ٢١٨

(ويسألونك عن اليتامى) البقرة : ٢٢٠

(ويسألونك عن المحيض) البقرة : ٢٢٢

علام يدل هذا ؟

انها ظاهرة تعطي الأجيال المسلمة كيف يكون الايمان بالمنهج ، والولاء له .. والثقة به .. والاعتصام بهديه .. فلا نور للحياة إلا فيه ..ولا روح للإنسان إلا به .

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تـدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما فى السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)

الشورى ٥٢ ـ ٥٣ .

منهج جمع شمل الأمة .

بوحدة عقيدتها وعبادتها

بوحدة مشاعرها وغايتها

بوحدة قبلتها بمكة أم القرى .

فماذا كان ؟

اذا الفكر ملتزم بمنهج الله .. واذا الأرواح في تعانق ومؤاخاة .. واذا الأمة مصبوغة بصبغة الله .. باذلة الأموال والأنفس في سبيل الله .

وانطلقت كتائب التحرير جيلا بعد جيل تحرر خلق الله من عبادة العباد الى عبادة الله .. فارتفعت راية القرآن وامتد عالمها في أقل من قرن امتدادا أذهل الأعداء .

أرأيت دولته وقد امتد ظلها زمانا من المحيط الى الخليج ؟

أرأيت حواضرها في عهدها الزاهر مكة والمدينة .. بغداد ودمشق .. القاهرة والقيروان .. كيف أدت رسالتها كاملة غير منقوصة ؟

أرأيت أبناءها العرب وقد انطلقوا من جوف الصحراء بأعظم الرسالات ؟

يهيئون للروح سماءها

وينظمون للمادة دنياها

ويرسمون للسياسة منهاجها

ويبنون للعلوم والأخلاق جامعتها .

فماذا حدث لتلك المسيرة الوضيئة المضنية ؟

هبت عليهم أعاصير الكفر . وأغارت على أرضهم رياح الشر . وأجمعت على حربهم كل عناصر الباطل .. وكان من آثار ذلك ما فرق الأمة قديما من تأويلات فاسدة :

فتأولت الفلاسفة	آيات المعاد
وتأولت الجهمية	آيات الصفات
وتأولت الجبرية	آيات أفعال العباد
وتأولت المعتزلة	آيات عموم الخلق والمشيئة
وتأولت الباطنية	آيات الشريعة
وتأولت الرافضة	نصوص فضائل الخلفاء الراشدين

أما حديثا فقد صرح النفاق .. وانسلخ البهائيون والقاديانيون من أمة الاسلام .. وظهرت على أسلات الاقلام المارقة .. والأبواق المشبوهة الدعوة الى العلمانية والوجودية وغيرهما من الدعوات الخبيثة كالطائفية والعنصرية والعرقية والمذهبية التي تخرب الأمم .. وتفتك بالشعوب .. وتقضي على الآمال والغايات .

هكذا بعد المسلمون ـ إلا من رحم الله ـ عن عقيدتهم النقية .. وعن غايتهم التي رسمها الله وهي العبادة والخلافة في الأرض فتخلف عنهم وعد الله في قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى

ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور : ٥٥ .

واذا كنا نتساءل في مرض بدني عن طبيب نطاسى متخصص ..

واذا كنا نتساءل في الزراعة عن حبوب طيبة وبذور أجود ..

واذا كنا نتساءل في الخيول عن العربي الأصيل

أفلا نتساءل :

عمن نأخذ عقيدتنا .؟ وبمن نقتدي في أصولها ؟

أنأخذها عن علماء الكلام ممن سقطوا في متاهات الفلاسفة ؟

أنأخذها عن علماء المتأخرين ممن جعلوا الحاكم محكوما والتابع متبوعا ؟

أنأخذها عن هؤلاء الذين فتحوا باب التأويل .. وهجموا على آيات الكتاب يلوون أعناقها .. وعلى أحاديث الرسول ﷺ يكذبونها ارضاء لمذهب أو اتباعا لهوى ؟

ان الرحمة المهداة رسول الله ﷺ يأخذ بأيدينا في رفق نحو الطائفة الناجية فيقول فيما روي عن ابن ماجة عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ..

وافترقت النصارى عـلى ثنتين وسبعين فرقـة فإحـدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والـذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار . قيل : يا رسول الله ، من هم ؟ قال : الجماعة . وفي رواية الترمذي : قال ـ ﷺ : ما أنا عليه وأصحابي .

من هؤلاء ؟

انهم أهل السنة والجماعة

لماذا أيها الأخوة ؟

لأنهم الذين يلتزمون بطريقة الرسول ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات في الاعتقاد خاصة في مسائل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وفضائل الصحابة ويدعون الى الاجتماع على الحق ونبذ الفرقة والخلاف .

أهل السنة والجماعة هم أتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا ، أتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجـرين والأنصار ، أتباع وصية رسول الله ﷺ فيما روى أبو داود والترمذي عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـدين

عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور . فان كل بدعة ضلالة .

وقد جاء الأمر بلزوم الجماعة في أحاديث كثيرة :

روى الامام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه « وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما والطبراني عن عرفجة : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض » وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : من رأى من أميره شيئا فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية » .

يقول أبو شامة : حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا ، وهو الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وأولى الناس بالاعتقاد الحق ، والالتزام بالسنة والجماعة والفرقة الناجية هم أهل الحديث الذين عرفوه وحفظوه واتبعوه ظاهرا وباطنا .

قال الامام أحمد عن الجماعة : ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ .

وقال الشيخ أبو اسماعيل الصابوني في رسالته : عقيدة السلف أصحاب الحديث : « ويقتدون بالنبي ﷺ وأصحابه

الذين هم كالنجوم ، ويقتدون بالسلف الصالحين من ائمه الدين وعلماء المسلمين ، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين . والحق المبين ، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم .

وبدأت التسمية بأهل السنة والجماعة حين كثرت البدع والانحرافات تمييزا لهم عن غيرهم في اعتقادهم وفي منهجهم . وانما نسب مذهب السُّنَّة الى الامام احمد بن حنبل لما اشتهر به من امامة السنة والصبر على المحنة .

فالسنة كانت موجودة قبله علمها ودعا اليها ، وصبر على الايذاء في سبيلها حتى انتصرت السنة ، وتراجع الواثق عن بدعة القول بخلق القرآن والدعوة اليها ، وجاء المتوكل فرفع تلك المحنة .. وترك الأمور تأخذ سيرها الطبيعي .

بل ان « مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد فانه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ، فانهم متفقون على أن اجماع الصحابة حجة(٥) .

فما منهجهم ؟

من شعب المنهج شعبتان : شعبة التلقي وشعبة الدعوة .

فأما التلقي فانهم يتلقون عقيدتهم عن الله وعن رسول الله ﷺ فلا يكون متبوعهم الا الرسول الأعظم ﷺ يتمسكون بالكتاب والسنة وما اتفق عليه السابقون الأولون من

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان(١٦) .

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم » الحجرات : ١ .

قال الضحاك : لاتنقضُوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : لا تقولوا خلاف كتاب الله والسنة(٧) .

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله : لا يعارض المسلم شيئا مما جاء به الرسول ﷺ بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم المسماة :

بالمعقول .. والقياس .. والذوق .. والسياسة

فالمعقول للمنحرفين المتكبرين من المتكلمين الذين عارضوا النصوص بمعقولاتهم الفاسدة . وقالوا : اذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل .

والقياس للمتكبرين من المنتسبين الى الفقه قالوا : اذا تعارض القياس والنصوص قدمنا القياس على النص ، ولم نلتفت اليه .

والذوق للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين الى التصوف والزهد اذا تعارض عندهم الذوق والأمر قدموا الذوق والحال ولم يعبأوا بالأمر .

والسياسة للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين اذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة قدموا السياسة ، ولم يلتفتوا الى حكم الشريعة(٨) .

وما أكثر من سولت لهم أنفسهم اتباع الهوى فقدموا

العرف والعادة والتقليد الأعمى على سنة رسول الله ﷺ وتوجيهاته بل ضل بعضهم فأنكروا الاحتجاج بالسنة فأوقعوا أنفسهم في ضلالات الكفر وظلماته ، لأن من أنكر السنة فقد أنكر القرآن .

يخبر الرسول ﷺ عن هذا الصنف من متمسلمي هذا العصر فيما روى أبو داود والترمذي عن المقداد بن معدي كرب أنه قال قال رسول الله ﷺ الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان على يكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وان ما حرم رسول الله كما حرم الله . ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع .

وقال الامام مالك : السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك(٩) .

وقال الامام الشافعي : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد(١٠) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : والسنة التي يجب اتباعها ، ويحمد أهلها ، ويذم من خالفها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما تركه من قول أو عمل(١١) .

فطريق أهل السنة والجماعة عدم العدول عن النص

الصريح وعدم معارضته بمعقول أو ذوق أو رأي سواء كان النص متواترا أو آحادا . فحديث الآحاد اذا تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم اليقيني نص على ذلك مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة ، وداود بن علي وأصحابه .

خـــذ الحــــديث وكن بـــه متمسكـــا
فلطـــالمـــا ظمئت بـــــه الأكبـــاد[١٢]

قال البخاري رحمه الله : سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال : قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال رجل : ما تقول أنت ؟

فقال الشافعي : أتراني في كنيسة ؟ أتراني في بيعة ؟ أترى في وسطي زنارا ؟ أقول قضى رسول الله ﷺ وتسأل ما تقول أنت ؟

وقال ابن خزيمة : قلت لأحمد بن نصر ـ وقد حدث بخبر عن رسول الله ﷺ أما تأخذ به ؟ فقال : أترى على وسطي زنارا ؟ لا تقل لخبر رسول الله ﷺ : أتأخذ به ؟ ولكن قل : أصحيح هو ذا ؟ فإن صح الخبر عن رسول الله ﷺ . قلت به شئت أم أبيت .

وقال ابن السمعاني في الانتصار لأهل الحديث : فالخبر اذا صح عن رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم[١٣] .

العلم قـــال الله قـــال رســـولـــه
قـــال الصحـــابـــة ليس خلف فيـــه
وحـــذار من نصب الخـــلاف جهـــالـــة
بين الـــرســـول وبين رأي فقيـــه[14]

أما الدعوة فانها جزء من التكاليف في منهج الله قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل : ١٢٥ ويقول سبحانه (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بـالمعروف وينهون عن المنكروأولئك هم المفلحون) آل عمران : ١٠٤ .

حرص أهل السنة والجماعـة على ذلـك حفاظـا على الجماعة ،وسياجا للوحدة ، لأن الأمة اذا اجتمعت على هذا المقصد الشريف تلاشت الأهواء الشخصية .. والنزعات الفردية ، وتم التعاون والاجتماع .

ولهـذا قال تعـالى : (واعتصموا بحبـل الله جميعـا ولا تفرقوا) آل عمران : ١٠٣ .

حبل الله هو القرآن كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ، وروى ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : كتاب الله هوحبل الله الممدود من السماء الى الأرض .

فالله عز وجل يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع ، وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بسياسات نخترعها .

ثم نهانا عن التفرق والانقسام بعد الاجتماع والاعتصام لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العز والقوة ..

وبالعزة يعتز الحق فيعلو في العالمين .

وبالقوة يحفظ هو وأهله من كيد الكائدين .

وفي هذا يقول الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام : ١٥٣ .

ومن تلك السبل المفرقة احداث المذاهب والشيع في الدين قال تعالى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) . الانعام : ١٥٩ .

ومن ثم أمر الاسلام بالجدل عن الدين لما فيه من اظهار الحق ، والانتصار له قال تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) .

ونهى عن الجدل في الدين لما يحدث من فرقة وانقسام . روى الطبراني عن عدد من الصحابة قالوا : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين ، فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال :

« مهلا يا أمة محمد ، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ،

ذروا المراء لقلة خيره .

ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ،

ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ،

ذروا المراء فكفى اثما الاتزال ممار يا ،

ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ،
ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق .
ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء .

وقال ﷺ : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل .

فالأمر بالاعتصام بالكتاب ضبط لارادتهم ، وكبت لأهوائهم ،وتأكيد لوشائج المودة والرحمة بينهم حتى يكونوا أمة حية كأنها جسد واحد وبنيان مرصوص . روى الشيخان عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وروى مسلم عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

قد يقال : كيف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظا للوحدة ونحن نرى العكس فالتناصح سبب التخاصم والتنابز ؟

والجواب :

ان ذلك من أثر التفريط والتساهل في ترك التناصح زمنا طويلا حتى بطل رد التنازع الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .
وبذلك خوت القلوب من احترام الدين فلم يعد له سلطان على

الارادة بل صار كل شخص أسير هواه .

وتناسوا قول رسول الله ﷺ فيما روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس رضي الله عنه : المؤمن مرآة المؤمن[١٥] .

وقد يكون التنابز شيئا عن طريقة الدعوة وكيفية سوقها الى المدعو .

فالدعوة تتطلب حلما لا عنفا ، ورفقا لا قسوة قال تعالى ممتنا على نبيه ﷺ (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران : ١٥٩ .

وقد دخل أحد الوعاظ على المأمون يوما ، فاشتد على المأمون ، وأغلظ له فقال المأمون : يا رجل ، ارفق : فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني ، وأمره بالرفق . فقال تعالى : (فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى) طه : ٤٤ .

ومن حكم الشافعي رحمه الله :

من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن نصحه علانية فقد فضحه وشانه[١٦] .

وقد التزم أهل السنة والجماعة بالمنهج الإلهي

فعرفوا حق الولاء لله اثباتا وتنزيها .

عرفوا حق الولاء لرسول الله ﷺ طاعة واتباعا .

عرفوا حق الولاء للمؤمنين حبا وايثارا .

حملوه في قلوبهم أمانة

وبلغوه للناس رسالة

وجعلوه في حياتهم حكما

وقدموه للدنيا سلوكا

فكانوا الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم

فهم وسط في باب صفات الله بين الجهمية والمجسمة .

هم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية .

هم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية .

هم وسط في باب أسماء الايمان بين الحرورية والمعتزلة .

هم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الخوارج والرافضة .

ولولا أن المسلمين انقسموا الى مذاهب عني كل مذهب منها باثبات مذهبهم وتأييده ، وابطال مخالفه وتفنيده لزال الاختلاف ، وعرف الاكثرون الحق صورة ومعنى فلا يشنع أشعري على حنبلي .

ولذلك نرى محققي المتكلمين رجعوا في آخر عهدهم الى مذهب السلف صرح بذلك أبو الحسن الأشعري في الابانة ، وأبو حامد الغزالي في الجام العوام عن علم الكلام .

ويقول الرازي : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن :

اقرأ في الاثبات : (الرحمن على العرش استوى)

طه : ٥ (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ . واقرأ في النفي : (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولا يحيطون به علما) طه : ١١٠ . ومن جرب مثل تجربتي لعرف مثل معرفتي ١٧٠ .

خيرية هذه الأمة :

واذا كانت هذه الأمة خير الأمم بشهادة ربها قال الله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران : ١١٠ . فان خير هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم بشهادة ربهم عز وجل . قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) التوبة : ١٠٠ .

ثم تابعو التابعين بشهادة رسول الله ﷺ فيما روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته[١٦] .

فهل ينقطع الخير الذى حكم به الله لهذه الأمة عند هذه المرحلة الزمنية أم له امتداد وتيار مستمر عبر القرون يحمل راية الايمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ان الجواب الشافي عن هذا التساؤل يحمله الخبر الصادق من فم الوحي فيما جاء في الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة .

وفي رواية لمسلم عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله .

صححه ابن حبان ، وقال الحافظ في الفتح ٧/٦ : هو حسن له طرق يرتقي بها الى الصحة ومعناه : أن في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير ؟ مع الجزم والقطع بأن الأول خير من الآخر ولهذا قال : لا يدري .

وروى الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . فقلت : يا رسول الله ، انا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن .

قلت : وما دخنه ؟

قال : قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر .

قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : نعم ، ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها .

قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ،

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

فقلت : فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم .

قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام .

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

فأهل السنة والجماعة في كل عصر إنما هم امتداد لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فإذا ما قام امام في زمن البدع أو غربة أهل السنة بالدعوة الى العقيدة السلفية ، ومحاربة من يخالفها أو نسب مذهب أهل السنة الى عالم من العلماء أو مجدد من المجددين في بعض الأزمنة أو الأمكنة فلأنه جدد ما اندرس منه ، وأحيا ما أفسد الناس .

ودعاة السلفية لا يفترون عن الدعوة الى المنهج الالهي والجهاد في سبيل نصرته وانتشاره . كلما سقط في الميدان مجاهد قام مقامه آخرون يقيمون الحجة ، ويدفعون شر البدعة ، ويبينون للناس السبيل القويم .

وقد كتب السلف من أهل القرن الثالث والرابع في مجال العقيدة السلفية مؤلفات ورسائل .. واستن بسنتهم من نهج نهجهم على توالى العصور طبقة بعد طبقة(١٨) حتى جاء شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والامام الذهبي والحافظ ابن كثير ، والقاضي علي بن ابي العز . ومن أخذ عنهم من الأعلام نشروا لواء السلفية عاليا خفاقا ، ثم حمله من بعدهم في العصر الحديث تلاميذهم ومريدوهم .

ففي الجزيرة العربية ظهر ابن عبدالوهاب والشوكاني .

وفي مصر والشام ظهر رشيد رضا والقاسمي .

وفي الهند وباكستان ظهر المودودي والندوي .

ولايزال تيار اتباعهم يعلي كلمة الحق .. ويصد عن الاسلام تأويلات البهائية .. وأباطيل القاديانية .. وضلال الخوارج معتصمين بنور الكتاب وضوء السنة .. والاجماع .

وقد شرفهم الله فجعلهم من حزبه .. وكتب لهم الغلبة والنصر من عنده قال تعالى : (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) المائدة : ٥٦ .

وكما أن ملة محمد ﷺ هى الامتداد الطبيعي والصحيح للملل الأنبياء والمرسلين كذلك أهل السنة والجماعة هم الأصل في أمة محمد ﷺ وهم الامتداد الطبيعي والصحيح لأهل هذه الملة .

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه : أى المؤمنين أعجب اليكم ايمانا ؟

قالوا : الملائكة .

قال : ومالهم لا يؤمنون وهم عند ربهم .

قالوا : الأنبياء .

قال : ومالهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم .

قالوا : فنحن .

قال : ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم .

قالوا : فمن ؟

قال : قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها .

وستظل مدرسة النبوة تستقبل كل من يهفو الى رحابها المباركة يرتشف من ينابيع فيضها الالهي في حب ورضا واحسان وحنان .

وستظل مدرسة النبوة بمنهجها الالهي تخرج للأجيال القيادات المؤمنة مادام تعلقنا بمنهج الله دستورا للعمل ونبراسا للحياة .

وسيظل يتألق في سماء الأرض الطيبة المباركة روح مضيء يشدو بنغم اسلامي حلو .. ويهتف بلغة عربية صافية اللحن قوية النبرات .

ليس الطـــريق ســـوى طـــريق محمـــد

فهـــــو الصراط المستقيم لمن سلـــــك

من يمشِ في طـــرقـــاتـــه فقـــد اهتـــدى
سبـل الـرشـاد ومن يـزغ عنهـا هلـك(١٩)

نسأل الله ايمانا يملأ القلوب نورا وتقوى .. وينشر في الناس اخاء وحبا .. ويغمر الدنيا سعادة وخيرا .

سبحان ربك رب العـزة عما يصفـون . وسلام عـلى المـرسلين والحمد لله رب العـالمين . سورة الصـافات : ١٨٠ ـ ١٨٢ .

الدكتور كمال محمد عيسى

✡✡✡

الهوامش

١ ـ الباعث لأبي شامة ص ٢٢
٢ ـ شرف أصحاب الحديث ص ٢٥
٣ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٩ .
٤ ـ أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة ص ٥٨ .
٥ ـ منهاج السنة جـ ٢ ص ٨٢ .
٦ ـ مجموع الفتاوى جـ ٣ ص ٣٧٥ .
٧ ـ تفسير ابن كثير .
٨ ـ مدارج السالكين جـ ٢ ص ٣٣٣ .
٩ ـ نقض المنطق ص ١١٣
١٠ ـ مدارج السالكين جـ ٢ ص ٣٣٥ .
١١ ـ مجموع الفتاوى جـ ٣ ص ٣٧٨ .
١٢ ـ شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٠٢ .
١٣ ـ تفسير المنار جـ ٢ ص ١٧ .
١٤ ـ شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٥٦ .
١٥ ـ تفسير المنار جـ ٣ ص ١٦٧ .
١٦ ـ مقدمة المجموع للنووي ص ٣١ .
١٧ ـ درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ١٦٠ .
١٨ ـ انظر العلو للعلي الغفار .
١٩ ـ الشذرات جـ ٦ .

ثبت المراجع

ابن تيمية : تقي الدين ابو العباس احمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨هـ .
(١) مجموع الفتاوى مكتبة المعارف بالرباط .
(٢) نقض المنطق طـ اولى سنة ١٣٧٠هـ .
(٣) منهاج السنة تحقيق محمد سالم .
(٤) درء تعارض العقل والنقل طـ ١ ١٣٩٩هـ .
الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ .
(٥) العلو للعلي الغفار طـ ٢ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
رضا : محمد رشيد رضا .

(٦) تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير المنار الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٢م .
ابو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي .
(٧) الباعث على انكار البدع والحوادث .
الصابوني : ابو عثمان الصابوني اسماعيل بن عبدالرحمن شيخ الاسلام المفسر الواعظت ٤٢٩ .
(٨) عقيدة السلف اصحاب الحديث .
ابن العماد : محمد صفي الدين ابو الفرج ت ٥٩٧هـ .
(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب القاهرة ١٣٥٠هـ .
ابن القيم : ابو عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ت ٧٥٤هـ .
(١٠) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين دار الكتاب العربي بيروت .
ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ .
(١١) تفسير القرآن العظيم .
المصري : محمد عبدالهادي المصري .
(١٢) اهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى دار طيبة الرياض .
النووي : الامام ابو زكريا محيي الدين بن شرف ت٦٧٦هـ .
(١٣) المجموع شرح مهذب الشيرازي المكتبة العالمية بالفجالة .

٭٭٭

دار البلاد للطباعة والنشر
جــــدة